أبو الحسن، التِّبْريزي
ومنهجة في التصوف

الباحث/ مرتجي عبدالرووؤف شعبان يونس

المقدمة:

نص الشيخ علاء الدين بن الشيخ نور الدين أبى إسماعيل بن يوسف القونوى على أنه تعرض لشرح كتاب (التعرف لمذهب أهل التصوف) على أنه يستخرج منه الفوائد التى أشتمل عليها الكتاب وقد أعتمد في شرحه على الكتاب والسنة وأقوال السلف والتابعين من أهل هذا الفن ففي مقدمة الكتاب يذكر أن الحمد يكون على النعمة وغيرها من صفات الكمال، ولا يكون إلا باللسان ،والشكر لا يكون الا على النعمة ،ويكون باللسان وغيره قال الله تعالي:﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣ فالحمد أعم من الشكر باعتبار ما يقعان عليه وأخص منه باعتبار ما يقعان به.

يشرح صفات الله عزوجل التي ذكرها صاحب المصنف بما يلق بذاته المقدسة فيقول (في المحتجب بكبريائه عن درك العيون) وفسرت الحجب النور بالعلوم والوقوف عندها ، وحجب الظلمة بالجهالات قيل : يصح أن يصف الرب أنه مُحتجب ، ولا يصح وصفه بأنه محجوب، إذ المحتجب قاهر ، والمحجوب مقهور، فالخلق هم المحجوبون قال : الغزالي رحمه الله تعالي عبارة عن " كمال" الذات قال : وهو كمال الواجد باعتبار قدمه ودوامه أزلاً وأبداً فإن الكبرياء يطلق علي من طالت مدة بقائه فالأزلي الأبدي أولي بأن يقال له الكبير، وله الكمال أيضا، باعتبار إستغنانه عن غيره ، وافتقار غيره إليه فكل ما سواه حقير بالنسبة إلي، فله الكبرياء مطلقا، وبكبريائه التي هي عبارة عن كماله حجب العقول عن الوصول إلي حمي جلاله.

ولم يرد المصنف "بدرك العيون" أصل الرؤية التي يثبتها أهل السنة ، إنما أراد الإشارة إلي قوله﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ جميعها، أو في الدنيا، أو لا تحيط به .

كان القونوي دقيقاً في شرح كتاب (التعرف لمذهب أهل التصوف)

ولذا نراه يشرح كلام الكلاباذى الذى يصف نفوس الصوفية بقوله " طُهر عن ادناس النفوس اسرارهم ". فيقول:وقد مرأن النفس يراد بها مبدأ الصفات المذمومة، ولذلك عُدت

أعدى عدو للإنسان، كما ورد " أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك[1]"، وانما كانت أعدى الاعداء لصعوبة الخلاص من شرورها الا ترى أن الانسان إذا صالح سائر الاعداء أمن شرهم ،وأن صالح نفسه أهلكته؟ ولذلك كان جهادها الجهاد الاكبر، وكانت الجنة مأوى من نهاها عن هواها ،وأدناسُها التي طهر الله أسرار أولياؤه عنها كثيرة، كحب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة ،وأستصغار المعاصي ، والمسارعة إليها، والتلذذ بها، والتقاعد عن الطاعات ،والعجب ،والمرئاه بها إلى غير ذلك مما يطول شرحه وإلى التطهير عن تلك الادناس وقعت الاشارة بقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ الشمس: ٩.

فكان منهجه في كتابه (حسن التصرف بشرح التعرف علي مذهب أهل التصوف) منهجا يستسقي من الكتاب والسنة ،وكثيرا ما يتعرض للمسائل العقائدية فيذكر أولا قول :أهل السنة ثم يذكر ما قالته المعتزلة وغيرهم من الفرق. وكتاب شرح التعرف ليس كتابا من كتب التاريخ. إنما هو مادة العلم الصوفي وجوهره مع الدليل والتحليل والبرهان الذي يجمع بين العقل والنقل حتى يرقى بالصوفى فيكون عبدا ربانيا بعيدا عن شحطات الخيال وميول الأهواء .

(١) حديث (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك). قال الألباني : (٣٠٨/٣) : موضوع رواه البيهقي في "الزهد الكبير" (٢/٢٩) عن محمد بن عبد الرحمن بن غزوان : حدثنا إسماعيل بن عياش عن حنش السرجي عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا. قلت : وهذا إسناد موضوع ، ابن غزوان كذاب معروف ، قال الذهبي : حدث بوقاحة عن مالك وشريك وضمام بن إسماعيل ببلايا . قال الدارقطني وغيره : كان يضع الحديث . وقال ابن عدي : له عن ثقات الناس بواطيل. وبه أعله العراقي في "تخريج الإحياء " فقال (٤/٣) : أحد الوضاعين. وإسماعيل بن عياش ضعيف في غير الشاميين وهذا منه . وحنش واسمه الحسين متروك . والحديث مما فات السيوطي في "الجامع الكبير " والمناوي في "الجامع الأزهر". السلسلة الضعيفة ـــ المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ج١٦٦/٣

Summary:

Sheikh Alaa Al-Din Bin Sheikh Noor Al-Din Abi Ismail Bin Yusuf Al-Qunawi stated that he was exposed to the explanation of the book (Al-Ta'rif for the doctrine of the people of Sufism) that he extracted from it the benefits contained in the book, and he relied in his explanation on the book, the Sunnah and the sayings of the predecessors and followers of the people of this art in the introduction to the book It is mentioned that praise is for grace and other attributes of perfection, and it is only with the tongue, and gratitude is only for the blessing, and it is with the tongue and others.

He explains the attributes of God, the Mighty and Sublime, which the author of the work mentioned in a manner that befits his sacred essence, and he says (in the veiled of his pride from the darkness of the eyes). And the veiled is subjugated, so the creation are the veiled. He said: Al-Ghazali, may God have mercy on him, is an expression of the "perfection" of the Essence. He said: It is the perfection of the One considering his feet and his permanence from eternity and eternity. From others, and the lack of others in him, everything else is despicable to me, so he has absolute pride, and with his pride, which is an expression of his perfection, he blocks the minds from reaching the exaltation of his majesty.

The compiler "Badrak al-Uyun" did not mention the origin of the vision that the Sunnis prove, but he wanted to refer to all of them, or in this world, or not surrounding it.

Al-Qunawi was meticulous in explaining the book (Al-Ta'arif madhab of the Sufis.(

That is why we see him explaining the words of Al-Kallabadhi, which describes the souls of the Sufis, by saying, "Purified from the defilement of souls, their secrets." He says: The soul has been seen to mean the principle of blameworthy attributes, and that is why you are considered to be the worst enemy of man, as stated: annihilated him? Therefore, her jihad was the greatest jihad, and Paradise was a shelter for those who forbade it from its desires, and its impurities from which God has cleansed the secrets of his guardians are many, such as the love of the world which is the head of every sin, and the smallness of sins, and hastening to them, and enjoying them, and retiring from obedience, and wonder, and being

seen by them to others. This is a lengthy explanation, and to purification from these impurities, the allusion is made to His saying, the Most High

المبحث الأول : منهجه في التصوف:

يقول صاحب أعيان العصر وأعوان النصر هذب نفسه بالمعارف في التصوف، وذاب في خلواته من التشوق إلى حضرة القدس والتشوف، فلو رآه الشبلي لقال هذا الأسد، أو معروف لأنكر نفسه وقال: هذا الذي بلغ من الأشد الأشد.

هذا إلى صورة قد حسنها الذي فطرها، وشيبة بيضها الله ونورها، وأخلاق ليس للنسيم لطفها، ولا للرياض نضرتها وظرفها.

أقام في القاهرة فملأها علماً، وجاء إلى دمشق فسرها حكماً وحلماً. ولم يزل فيها على حاله إلى أن غاض بحره العجاج، وطفئ سراجه الوهاج. (١)

كَانَ رحمه الله محكما للعربية قوي الْكِتَابَة لَهُ يَد طولى فِي الْأَدَب ولَه شرح للحاوي ومختصر الْمِنْهَاج للحليمي وَالتَّصَرُّف فِي شرح التعرف فِي التصوف وَكَانَ يترسل جيدا من غير سجع وَيسْتَشْهد بِالْآيَاتِ والأبيات وَالْأَحَادِيث اللائقة بذلك وَكَانَ قد لَازم ابْن دَقِيق الْعِيد وَقَرَأَ عَلَيْهِ حَتَّى كتب لَهُ(٢)

كان صاحب فقه ، وحديث لا يعرف إلا التصوف الحقيقي المبني علي الكتاب والسنة ، والمتصوف لابد أن يكون صاحب قلب يري به الحقائق قبل الأعين لذا نري العلامة الصوفي أبو سليمان الداراني يقول: "القلب الصوفي قد رأى الله وكل شيء يرى الله لا يموت" فمن رأى الله فقد خلد. وكل كلمة خطها الصوفية كانت خالدة كالقلب الصوفي. خالدة لا تموت لأنها ارتبطت بالله واستهدفت رضاه واقتبست من هداه وأشرقت بحبه وأضاءت بنوره. ومادة التصوف سواء أكانت أخلاقا أو معرفه أو سلوكا ، أو تعبيرا عن مشاهدة ، أو تصويرا لمناجاة ، أو تذوقا لتجليات أو تحليقا حول إشراقات ، فهي مادة موصولة بالله قائمة به وله، فانية فيه سبحانه ولهذا آمن الصوفية بأنهم أحباب الله وأصفياؤه وأولياؤه وصفوة عبادة وحراس ينابيعه وآياته كما آمنوا بأن أعمالهم وحركاتهم ومعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم كلها هبات الله وفيض عطاياه. إن مولاهم سبحانه هو مربيهم ومعلمهم وهاديهم ومرشدهم إنه الحبيب القريب المجيب الآخذ بنواصيهم إلى وجهه الكريم.قيل لمعروف الكرخي أخبرنا عن المحبة أي شئ هي؟ قال: "يا أخي ليست

(١) أعيان العصر وأعوان النصر المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك ــ الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا ــ ط: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ج٣/٢٨٧

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ــ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ــ المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ــ الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند – ط: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ج٤/٣٠

المحبة من تعليم الناس، المحبة من تعليم الحبيب." وبهذا الارتباط المشتعل بالوجد والحب وملهمات الأنس والقرب أصبح الصوفي أينما تولى فثم وجه الله لا يرى سواه.

وكل شئ في الوجود مرآه يرى فيها الصوفي وجه الله وآياته وقدرته ورحمته. يقول ذو النون في مناجاته:

إلهي ما أصغيت إلى صوت حيوان ولا إلى حفيف شجر ولا خرير ماء ولا ترنم طائر ولا تنغم طل ولا دوى ريح ولا قعقعة رعد إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك داله على أنه ليس كمثلك شئ.

ومن هنا لم تتحدث طائفة من الناس عن الحب الإلهي وعن الفناء في الله كما تحدث الصوفية. والفناء الصوفي فوق سموه الإيماني مذهب في التربية والأخلاق لا يماثله مذهب آخر من مذاهب التربية والأخلاق. وعلى ضوء علم النفس الحديث وعلى هدى المذاهب العلمية التربوية يجب أن ننظر إلى الفناء الصوفي على أنه منهج للكمال والتسامي لا يطاوله غيره ولا يغني عنه سواه. إنه إفناء المشاعر والرغبات الأرضية في شئ أكبر وأعظم من المثل الأعلى المصطلح عليه خلقيا وتربويا إنه إفناء هوى النفوس وشهواتها وعواطفها وكل ما تحب فيما يحبه الله ويريده ويأمر به ليعيش الصوفي متخلقا بخلق الله أو كما يقول الإمام الجنيد: فتكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفاته فيكون فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات.

إنه إذن استبدال خلق بشري بخلق رباني وذلك ارتفاع بالبشرية لا نعرفه ولا تعرفه الدنيا لغير الصوفية الإسلامية. فالفناء الصوفي ليسفناء جسد في جسد ولا فناء روح في روح إنه فناء إرادة في إرادة وفناء أخلاق في أخلاق وصفات في صفات أو كما يقول الصوفية :" فانيا عن أوصافه باقيا بأوصاف الحق إنه لتصعيد للكمال تصعيد تخفق أجنحته في أفق قدسي علوي ثم تخفق صاعدة صاعدة حتى تنال شرف التخلق بأخلاق الصفات الإلهية.

وهذا الفناء هو الذي عبر عنه الحديث النبوي:

"تخلقوا بأخلاق الله".

وصوره الحديث القدسي: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به".

وبهذا الفناء يحس الصوفي إحساس ذوق ووجدان وقلب وروح بإذن الله سبحانه معه وفي ضميره وحركاته وكلماته.

يقول العلامة الكلاباذي: ومن فناء الحظوظ حديث عبد الله بن مسعود قال: "ما علمت أن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يريد الدنيا حتى قال الله تعالى: ((منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)) فكان عبد الله في هذا المقام فانيا عن إرادة الدنيا.

لقد فني الصوفية في حب مولاهم وتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه وتربوا في محاربيه وعاشوا في ذكره ومناجاته فعلّمهم وطهّرهم وزكّاهم واصطفاهم واجتباهم وأحبّهم ورضي عنهم ففتح لقلوبهم ملكوت السموات والأرض يريهم عجائب كونه وبدائع قدرته وأسرار خليقته. وأفاض عليهم هداياه وعطاياه علوما وأذواقا. أو كما يقول الصوفية: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت".

ومن هذا الفناء جاءهم الخلود وبهذا التخلق أصبحوا أئمة يهدون إلى الله بأمره ويقفون حراسا على آياته ومشاهده مبشرين بكلماته متحدثين عن حضراته داعين إلى محبته ومناجاته مترنمين في آفاقه وجدا وشوقا بتسبيحه وذكره.

يقول العلامة الإمام الكلاباذي واصفا لمقاماتهم وأحوالهم:

سبقت لهم من الله الحسنى ، وألزمهم كلمة التقوى ، وعزف بنفوسهم عن الدنيا صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة ، وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة ، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة، ثبتت أقدامهم ،وزكت أفهامهم أنارت أعلامهم فهموا عن الله ،وساروا إلى الله ،وأعرضوا عما سوى الله ،خرقت الحجب أنوارهم ،وجالت حول العرش أسرارهم ،وجلّت عند ذي العرش أخطارهم وعميت عما دون العرش أبصارهم ،فهم أجسام روحانيون ،وفي الأرض سماويون ومع الخلق ربانيون.سكوت ،نظار غيب ، حضار ملوك ،تحت أطمار أنزاع قبائل وأصحاب فضائل وأنوار دلائل ، آذانهم واعية ،وأسرارهم صافية ،ونعوتهم خافيه صفرية صوفيه نوريه صفيه ،ودائع الله بين خليقته ،وصفوته في بريته ،ووصاياه لنبيه ،وخباياه عند صفيه ،هم في حياته أهل صفته ،وبعد وفاته خيار أمته لم يزل يدعو الأول الثاني والسابق التالي بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله.

تلك لمحة عن التصوف والصوفية الذين رأت قلوبهم الله فلم تمت قلوبهم بعد المشاهدة بل خلدت تنبض بالحب وتفتات بالذكر وتنعم بالهدى والرضا وترسل الشعاع الذي ينير طريق السالكين إلى ربهم.

وخلد مع القلب الحي الطاهر كل ما صدر عنه من كلم طاهر طيب مرتبط بالله موصول به. وإن من أخلد ما كتب عن التصوف والصوفية لكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للإمام العالم العارف تاج الإسلام أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٠ ه ٩٩٠ م. وهو من أقدم وأدق وأنقى وأصفى ما كتب عن هذا العلم ورجاله.[١] الذي قام بشرحه القونوي رحمه الله.

منهج شيخه الكلاباذى في التصوف :

يحدثنا الكلاباذى عن منهجه ى كتابه التعرف فيقول:"فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وصف طريقتهم وبيان نحلتهم وسيرتهم من القول في التوحيد والصفات وسائر ما يتصل به مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم. وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ليفهمه من يفهم إشاراتهم ويدركه من لم يدرك عباراتهم. وينتفي عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه مفتقرا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه، وتتبعت حكايات المتحققين له بعد العشرة لهم والسؤال عنهم."

ثم لا يكتفي الكلاباذي في كتابه بهذا. إن له لشخصيته وعلمه واستنباطه واجتهاده. وإنه ليسخر كل ملكاته ليقدم لنا المعرفة الصوفية في صورة كاملة من تحصيله وتصويره. وهو منهج في التأليف قل نظيره في قدامى المؤرخين. يقول الكلاباذي: "هذا ما تحققناه وصح عندنا من مذاهب القوم من أقاويلهم في كتبهم ممن ذكرنا أسماءهم ابتداء ما سمعناه من الثقات ممن عرف أصولهم وتحقق مذاهبهم والذي فهمناه من رموزهم وإشاراتهم في ضمن كلامهم". قال "وليس كل ذلك مسطورا لهم على حسب ما حكيناه وأكثر ما ذكرنا من العلل والاحتجاج فمن كلامنا عبارة عما حصلناه من كتبهم ورسائلهم. ومن تدبر كلامهم وتفحص كتبهم علم صحة ما حكيناه. ولولا أنا كرهنا الإطالة لكنا نذكر مكان ما حكيناه من كلامهم في كتبهم نصا ودلالة إذ ليس كل ذلك مرسوما في الكتب على التصريح"

وكتاب التعرف ليس كتابا من كتب الطبقات. وليس موسوعة تجمع أشتاتا من المعارف لا ترابط بينها. إنه مادة العلم الصوفي وجوهره مع الدليل والتحليل والبرهان الذي لا يرقى إليه شك ولا يشوبه غموض.

(١))التعرف مذهب أهل التصوف ،لأبى بكر الكلاباذى ،تحقيق عبدالحليم محمود ،تقديم طه عبدالباقى سرور ،مكان النشر: القاهرة ،اسم الناشر:دار أحياء الكتب العربية ص ٥:٩

فإذا تحدث الكلاباذي عن المقامات مثلا راح في علم وذوق يحللها ويجليها ويكشف عن أسرارها ومعانيها ويقدم لها الدليل تلو الدليل من الكتاب والسنة والمنطق الإسلامي. يقول الكلاباذي في حديثه عن المقامات:

"ثم لكل مقام بدء ونهاية. وبينهما أحوال متفاوتة ولكل مقام علم وإلى كل حال إشارة. ومع كل مقام إثبات ونفي وليس كل ما نفي في مقام كان منفيا فيما قبله، ولا كل ما أثبت فيه كان مثبتا فيما دونه. وهو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له". فنفي إيمان الأمانة لا إيمان العقد. والمخاطبون أدركوا ذلك إذ كانوا قد حلوا مقام الأمانة أو جاوزوه إلى ما فوقه. وكان عليه السلام مشرفا على أحوالهم فصرح لهم. فأما من لم يشرف على أحوال السامعين وعبر عن مقام فنفى فيه واثبت جاز أن يكون في السامعين من لم يصل ذلك المقام وكان الذي نفاه القائل مثبتا فيه في مقام السامع، فيسبق إلى وهم السامع أنه نفى ما أثبته العلم فخطأ قائله أو بدعه وربما كفره. فلما كان الأمر كذلك اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها تعارفوها بينهم ورمزوا بها فأدركه صاحبه وخفي على السامع الذي لم يحل مقامه. فإما أن يحسن ظنه بالقائل فيقبله ويرجع إلى نفسه فيحكم عليها بقصور فهمه عنه، أو يسوء ظنه به فيهوس قائله وينسبه إلى الهذيان. وهذا أسلم له من رد حق وإنكاره".

ذلك هو منطق الكلاباذي في عرضه العلمي وتحليله الصوفي وهذا منهجه في سائر ما يتناول في كتابه من دقائق. ولهذا كان كتابه صورة صادقة لاسمه: "التعرف لمذهب أهل التصوف".

ولقد وقفنا طويلا عند هذه التسمية وأخذنا نتساءل أهذه التسمية دقيقة؟

لقد أثارت في قوة انتباهنا إليها ككل، وأثارت في عنف انتباهنا إلى كل كلمة من كلماتها. إن المؤلف قال "التعرف"، ولم يقل دراسة أو بحث أو شرح. وقال "مذهب" بصيغة المفرد ولم يقل مذاهب. وقال "أهل التصوف" ولم يقل الصوفية مثلا. وكان من الممكن أن تكون التسمية هكذا "دراسة مذاهب الصوفية".

هل التزم المؤلف الدقة في هذا العنوان وتروى في كلماته؟

إن المؤلف من أعلام الصوفية. فإذا عبر عن التصوف فإنما يعبر عن شعور وذوق. إنه يعبر عن تجربة مر بها فلا يمكن إلا أن يكون دقيقا. ثم هو فقيه حنفي ومن خصائص فقهاء الأحناف المنطق الدقيق والاستدلال العقلي.

والمؤلف إذن جمع بين الشعور الذوقي والإتقان المنطقي. وكتابه إذن إنما صدر عن تجربة وعن منطق. ويظهر ذلك بوضوح في كل صفحة من صفحات الكتاب. ولكن أيظهر ذلك في العنوان أيضا؟ الواقع أننا بعد أن أطلنا التفكير في العنوان دهشنا لدقته الدقيقة وإحكامه المحكم.

إن أمر التصوف في الواقع ليس أمر جدل أو بحث أو أخذ ورد، وإنما هو تعرف. والقياس فيه والمنطق والاستدلال والبحث والدراسة والأسلوب العلمي يصب ظاهرا منه وشكلا أو رسما. وربما كانت حجابا أو ظلمة تبعد الدارس عن النور بدل أن تغمره بلآلئه. ومن المؤكد أن الذين لا يعلمون إلا ظاهرا من الأمر هم عن الحقيقة محجوبون. والتصوف تجربة والتجربة شعور والشعور ليس منطقا ولا برهانا إنما هو تعرف. وحينما دخل المنطق والبرهان في التصوف وكان أوضح مثل لذلك دراسات المستشرقين ومن لف لفهم من الشرقيين أفسد ذلك التصوف لأنه حول النبع المتدفق إلى ركود آسن. وحول السناء المتلألئ إلى ظلمة حالكة وأرجع فضل الله ونعمته إلى مرض من الأمراض. يعالج بالمادة ويشفي بالعقاقير.

إن التصوف ليس علما وإذا تدخل العلم فيه أفسده كإفساد العلم المزيف للدين حينما تدخل في الوحي والنبوة والألوهية. ونقول العلم المزيف لأن العلم الصحيح لا يتعدى حدوده. وللعلم الصحيح دائرته وهي التجربة المادية التي لا يتعداها. والتصوف تجربة روحية وليس للمادة شأن بالروح. فليس للعلم بالمعنى الحديث إذن شأن بالتصوف. إن العلم أرض ومادة وحس، والتصوف سماء وروح وذوق. وأمر التصوف في النهاية تعرف لا دراسة أو جدل أو علم.

وإذا ما وصلنا إلى هذه النتيجة التي هي في رأينا صحيحة كل الصحة فإن معنى ذلك أن من لا يشعر بالشعور الصوفي فإنه لا يتعرف عليه، كما أن من لم يسلك طريقا معينا بالذات ولو مرة واحدة فإنه لا يتعرف على ما فيه من ظل ظليل أو زهور ناضرات.

وقديما قالوا "من ذاق عرف" وبالتالي فإن من لم يذق لا يعرف. وكتاب المؤلف إذن ليس إلا محاولة للتعبير بالألفاظ عن الشعور المتدفق الفياض. وهذا التعبير لا يفهمه حق فهمه إلا من شعر به. ومعنى فهمه له أنه تعرف عليه وفهمه. إذن إنما هو تعرف فحسب.

والمؤلف يقول "مذهب". وفي الناس من يرى أن التصوف مذاهب وفرق وطوائف ولكن هذا التفكير المنحرف تأتى إلى القائلين به من نظرتهم إلى علم الكلام وإلى الفلسفة. ففي علم الكلام أشاعرة ومعتزلة ومشبهة وفي الفلسفة أرسطيون وأفلاطونيون وديكارتيون.

وأمر الطوائف والفرق يتجاوز علم الكلام والفلسفة إلى الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع. والنفوس مهيأة لقبول فكرة الطوائف في جميع العلوم النظرية.

ولقد خلط الكاتبون بين هذه الدراسات والتصوف فزعموا أن في التصوف مذاهب وفرقا وطوائف. ولو أمعنوا النظر لعرفوا أن التصوف تجربة روحية وليس نظرا عقليا. وإذا كان النظر العقلي يفرق الناظرين إلى طوائف، وفرق فإن التجربة لا يختلف فيها اثنان. وإذا كانت الفلسفة –لأنها نظر عقلي– مذاهب متعددة فإن التصوف –وهو تجربة– مذهب واحد لا تعدد فيه ولا اختلاف.

وكما أنه لا يستساغ الخلطة بين الوسائل والغايات في أي ميدان من الميادين، فإنه لا يستساغ الخلط بين طرق التصوف وهي وسائل، وبين الغاية وهي التصوف نفسه. فطرق التصوف متعددة مختلفة وبعضها أوفق من بعض وبعضها أسرع من غيرها، ولكنها على اختلافها وتعددها تؤدي إلى هدف واحد وغاية واحدة.

التصوف إذن مذهب بصيغة المفرد، لا مذاهب بصيغة الجمع. وتعبير المؤلف إذا مستقيم كل الاستقامة.

ويقول المؤلف "أهل التصوف". وللتصوف حقيقةً أهله وذووه. أما أهله وذووه فهم هؤلاء الذين وهبهم الله حسا مرهفا وذكاء حادا وفطرة روحانية وصفاء يكاد يكون في صفاء الملائكة، وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من النور. والناس معادن، والطبائع مختلفة. فمنها ما يرقى إلى الطبيعة الملائكية وكأنه في طبيعته قبس خالص من نور الله، ومنها ما يسفل ويسفل إلى أن يصبح أو يكاد في مستوى السائمة.

واختلاف الطبائع مسالة بديهية. وما دام التصوف نورا وهداية فإن له أهله وذويه الذين اصطفى الله واجتبى. "التعرف لمذهب أهل التصوف" إنه عنوان هادف كما أنه كتاب هادف[1].

المصادر التى أعتمد عليها المؤلف:

١- القرآن الكريم.
٢- صحيح البخارى ومسلم .
٣- شرح صحيح مسلم للنووى.
٤- شرح منازل السائرين لعبدالمعطى اللخمى الإسكندرى.
٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم لأصفهانى.

(١)التعرف مذهب أهل التصوف ،لأبى بكر الكلاباذى :تحقيق عبدالحليم محمود ،تقديم طه عبدالباقى سرور ،مكان النشر: القاهرة ،اسم الناشر:دار أحياء الكتب العربية ص١٠:١٤

٦- صفوة الصفوة لأبن الجوزى .
٧- تلبيس ابليس لأبن الجوزى.
٨- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى .
٩- مناقب الأبرار ومجالس الأخيار للحسين بن نصر بن خميس .
١٠- تفسير فخر الدين الرازى .
١١- عوارف المعارف للسهروردى .
١٢- الكشف عن مشكل الصحيحين لابن الجوزى .
١٣- الصحاح فى اللغة لأبى النصر اسماعيل بن حماد الجوهرى.
١٤- كتاب الإملاء للإحياء للغزالى .
١٥- منهاج الدين للحسن بن أبى ذر.
١٦- الرسالة القيشيرية للإمام القيشيرى.
١٧- مفاتيح القرائح للآمدى.
١٨- نهاية العقول فى دراية الأصول للرازى .
١٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض.

المبحث الثاني: أهميَّة الكتاب وأثره فيمن بعده.

ترجع أهمية كتاب حسن التصرف فى شرح التعرف إلى المصدر الأول وهو كتاب التعرف الذى كتبه الكلاباذي في العصر الذهبي للتصوف في أوائل القرن الرابع للهجرة. القرن الذي بلغ فيه التصوف كماله العلمي والفني واستكمل فيه التصوف علومه ومناهجه وآدابه وسلوكه ومقاماته. وجاء كتاب الكلاباذي صورة كاملة لعصره الذهبي بل صورة للتصوف في أعلى ذراه وأنقى موارده وأهدى معارجه. والكتاب بعد هذا صورة ورسالة يقوم على منهج وغاية في دقة وأمانة وبراعة علمية وكفاءة فنية يزينه ويجليه أسلوب عبقري فيه إشراق ومرونة لا يعرف الحشو والتطرف ولا البهرج المتكلف بل يقصد إلى غايته بأرشق الكلمات وأحلاها وأعلاها في غير إسراف أو تطويل أو خروج عن الهدف والمنهج. ولهذا كان هذا الكتاب مع قله صفحاته موسوعة علمية صوفية كبرى يغني عن غيره من الموسوعات الكبرى، ولا يغني غيره عنه حتى قال علماء التصوف القدامى: لولا التعرف لما عرف التصوف.

والكلاباذي ليس مؤرخا في هذا الكتاب فحسب بل هو عالم عارف ذائق يدلي برأيه وحجته. ثم هو معاصر وصديق للثقات الأئمة الذين أضاءوا آفاق التصوف في عصره

الذهبي. ولهذا يقول في كتابه وهو يعرض لأحاديث الصفوة الأعلام: سمعنا أو قال لنا.(١)

ولهذا يكون كتاب حسن التصرف في شرح التعرف مشعال نور يضيء لأهل التصوف الطريق لأن الإمام القونوى درس الفقه وأصوله والتفسير وعلومه والعربية وعلومها وتتلمذ على يد علماء الصوفية وجلس في خلواتهم حتى قال عنهم أهل التحقيق (قال الإسنوي: "كان أجمع من رأيناه للعلوم خصوصا العقلية واللغوية، لا يشار فيها إلا إليه، وكان قليل المثل من عقلاء الرجال، صالحا كثير الإنصاف، طاهر اللسان، مهيبا وقورا، وكان الناصر يعظمه ويثني عليه)(٢)

فكتاب حسن التصرف بشرح التعرف أستفاد منه كل أقطاب التصوف لما فيه من مادة عليمة فكان فريد عصره في هذا الوقت.

***موضوعات الكتاب**

الباب الأول: قولهم في الصوفية لما سميت صوفية :

قالت طائفة : (إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاءآثارها) أراد بتلك الآثار طهارة الظاهر عن المخالفات فإنها من آثار صفاء الآثار عن الكدورات .

قال: بشر بن الحارث(٣) {الصوفي من صفا قلبه لله تعالي }

قال القونوي :أي بأن لا يكون في قلبه سوى محبة الله تعالى ،ولا يشغل بشيء سواه ،وذلك أن قلب المؤمن محل نظر الله تعالى ،فيجب أن يكون صافيا عما سواه ورد في بعض الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام "يا إبراهيم إني اتخذتك خليلاً

---

(١) التعرف مذهب أهل التصوف ،لأبى بكر الكلاباذى :تحقيق عبدالحليم محمود ،تقديم طه عبدالباقى سرور ،مكان النشر: القاهرة ،اسم الناشر:دار أحياء الكتب العربية ص ٩

(٢) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ــ المؤلف: عادل نويهض قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيخ حسن خالد ــ الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ــ ط: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م ج١/٣٥٥

(٣) بشر بن الحارث * ابن عبدالرحمن بن عطاء، الامام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الاسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم. ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة. ،وارتحل في العلم، فأخذ عن: مالك، وشريك، وحماد بن زيد، وإبراهيم بن سعد، وأبي الاحوص، وخالد بن عبد الله الطحان، وفضيل ابن عياض، والمعافى بن عمران، وابن المبارك، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وعدة. حدث عنه: أحمد الدورقي، ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد ابن مثنى السمسار لا العنزي، وسري السقطي، وعمر بن موسى الجلاء، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري، وخلق سواهم. وقل ما روى من المسندات. كان يزم نفسه، فقد كان رأسا في الورع والاخلاص، ثم إنه دفن كتبه. أخبرنا المؤمل بن محمد إذنا، أخبرنا زيد بن الحسن، أخبرنا أبو منصور الشيباني، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرني أبو سعد الماليني، أخبرنا عبد العزيز بن جعفر، حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، حدثنا محمد بن المثنى السمسار، سمعت بشر بن الحارث يقول: سمعت العوفي، عن الزهري، عن أنس، قال: " اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما، فلبسه، ثم ألقاه ". العوفي: هو إبراهيم بن سعد روي عن بشر أنه قيل له: ألا تحدث ؟ قال: أنا أشتهي أن أحدث، وإذا اشتهيت شيئا، تركته ،وقال إسحاق الحربي: سمعت بشر بن الحارث يقول: ليس الحديث من عدة الموت. فقلت له: قد خرجت إلى أبي نعيم. فقال: أتوب إلى الله وعن أيوب العطار: أنه سمع بشرا يقول: حدثنا حماد بن زيد. ثم قال: أستغفر الله، إن لذكر الاسناد في القلب خيلاء. قال أبو بكر المروزي: سمعت بشرا يقول: الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق. وقال أبو بكر بن عثمان: سمعت بشر بن الحارث يقول: إني لا أشتهي شواء منذ أربعين سنة، ما صفا لي درهمه قال محمد بن عبد الوهاب الفراء: حدثنا علي بن عثمان، قال: أقام بشر بن الحارث بعبادان بشرب ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أضر بجوفه، ورجع إلى أخته وجعا، وكان يعمل المغازل ويبيعها، فذاك كسبه. قال الحافظ موسى بن هارون: حدثنا محمد بن نعيم، قال: رأيتهم جاؤوا إلى بشر، فقال: يا أهل الحديث، علمتم أنه يجب عليكم فيه زكاة، كما يجب على من ملك مئتي درهم خمسة (٢). قلت: هذا على المبالغة، وإلا فإن كانت الاحاديث في الواجبات، فهي موجبة، وإن كانت في فضائل الاعمال، فهي فاضلة، لكن يتأكد العمل بها على المحدث .قال أبو نشيط: نهاني بشر عن الحديث وأهله. وقال: أتيت يحيى القطان، فبلغني أنه قال: أحب هذا الفتى لطلبه. الحديث. ما ت سنة سبع وعشرين ومئتين، قيل المعتصم الخليفة بستة أيام، وعاش خمسا وسبعين سنة. ت بشر الحافي – رحمة الله عليه – يوم الجمعة في شهر ربيع الاول انظر سير أعلام النبلاء تصنيف : الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م تحقيق : شعيب الارنؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة ج١٠ م/٧٠إلي ٧٦

فأنظر أن لا أطلع على قلبك فأرى فيه غيرى فأقطعك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢

عن سهل بن عبدالله[١] أنه قال : لم يخلق الله تعالى شيئا أعز من قلب المؤمن، ولذلك جعله محل معرفته التي أعز عطاياه: فأخس الناس همة من جعل أعز الاشياء محلا لأخسها وهو حب الدنيا قوله :وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته فصفته له من الله كرامته)

قال القونوي :يريد بصفاء المعاملة سلامتها من المفسدات ؛كالربا والعجب وذلك بالإخلاص والصدق.

وقد أوضح القونوى فيما قاله المصنف:(إنما سميت الصوفية لأنهم في الصف الاول بين يدي الله تعالى) .

يعنى بإرتفاع هممهم إعراضهم عما سواه خوفا من الإنقطاع عن الله تعالى، وما أعلى همة من لا يطلب إلا إياه كبرت همة عين طمعت في أن تراه.

ومعنى الوقوف بسرائرهم بين يديه أنه لا يحجبهم مقام ،وإن كان في أعلى المقامات عن الله تعالى، فمن رضى بمقامه حجب عن امامه.

قال: بعض العارفين: قوله تعالى اخبار عن الملائكة﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الصافات: ١٦٤ فيه إشارة إلى تفضيل البشر حيث قال:" منا" ولم يقل من الخلق، فالعارف من البشر لا مقام له يقف عنده:﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ النجم: ٤٢

قوله: قال قوم: إنما سموا صوفيه لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم قوم ذوى الله عنهم الدنيا إبقاء عليهم وصونا لئلا يطغوا، فصاروا في حماة محفوظين من الأثقال محروسين من الأشغال لا تشغلهم الأموال ولا تغيرهم الاحوال عن أبى هانئ قال: سمعت عمرو بن حريث[٢] يقول *نزلت هذه الآية في أهل الصفة* ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الشورى:٢٧

(١) سهل التستري (٢٠٠ – ٢٨٣ هـ = ٨١٥ – ٨٩٦ م) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الافعال. له كتاب في (تفسير القرآن – ط) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك الأعلام للزركلي ج١٤٣/٣

(٢) عمرو بن حريث * * (ع) ابن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أخو سعيد بن حريث. كان عمرو من بقايا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا نزلوا الكوفة. مولده قبيل الهجرة. له صحبة ورواية. وروى أيضا عن أبي بكر الصديق، وابن مسعود. حدث عنه: ابنه جعفر، والحسن العرني، والمغيرة بن سبيع، والوليد بن سريع، وعبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن أبي خالد، وآخرون. وآخر من رآه رؤية خلف بن خليفة. توفي سنة خمس وثمانين.سير أعلام النبلاء ج٤١٧/٣

وقد ذكر المصنف أن الصوفية نسبة إلى أهل الصفة الذين كانوا ببيتون في مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وعن الحسن [١] قال: بُنيت صُفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوغلون اليها ما استطاعوا من خير ،وكان رسول الله صلى الله عيه وسلم فيقول: كيف اصبحتم فيقولون :بخير يا رسول الله ،فيقولون: أنتم اليوم خير أم يوم يغذى على أحدكم بحفنة، ويراح عليه بأخرى ويغدوا في حُله، ويروح في أخرى ،وتسترون بيوتكم كما تُستر الكعبة؟ فقالوا :نحن يومئذ خير يعطينا الله تعالى فنشكر، فقال رسول الله :صلى الله عليه وسلم بل أنتم اليوم خير[٢]".

قوله: (وقيل سموا صوفية :لبسهم الصوف)

قال القونوى :وإنما اختاروا لبس الصوف، لأنه أرفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام وشعار الصالحين على ما سيأتي وقد أختار هذا القول: وأن تسميتهم صوفيه لأجل أختيارهم لبس الصوف بعض المحققين من المتأخرين .

وقد وضح القونوى ما قاله المصنف :(أما من نسبهم إلى الصفة أو الصوف فإنه عبر عن صالح أحوالهم ، وذلك أنهم قوم تركوا الدنيا، فخرجوا عن الاوطان، وهجروا الاخوان وساحوا في البلاد وأجاعوا الاكباد وأعروا الاجساد يعنى هذه كانت أحوال أهل الصفة، وإنما تركوا الدنيا لان عزها ذل وكثيرها قُل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴿٧٧﴾﴾ النساء: ٧٧

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :"لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى منها كافر شربة ماء[٣] "يحكى عن حاتم [٤] إنه لما دخل بغداد اجتمع بالخليفة فقال للخليفة: السلام عليك يا زاهد، فقال الخليفة :ما أنا بزاهد ، وكيف أكون زاهد والدنيا كلها لي ،وتحت حكمي قال له حاتم :بلى انت زاهد ، فإن الزاهد من قنع بالقليل والدنيا كلها

---

(١) الحسن بن على(٣ – ٥٠ هـ = ٦٢٤ – ٦٧٠ م)الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الائمة الاثنى عشر عند الامامية (٢) ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقا وبديهة (٣) حج عشرين حجة ماشيا. وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازيا مجتاز إلى غزاة جرجان، ومعه عبد الله بن الزبير. وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فأطاعهم وزحف بمن معه. وبلغ معاوية خبره، فقصده بجيشه. وتقارب الجيشان في موضع يقال له (مسكن) بناحية من الانبار، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الامر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١ هـ وسمي هذا العام (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسلمين فيه. وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي مسموما (في قول بعضهم) ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وولد له أحد عشر ابنا وبنت واحدة. وإليه نسبة الحسنيين كافة وكان نقش خاتمه: (الله أكبر وبه أستعين) انظر الاعلام للزركلي ج٢/ ١٩٩

(٢) (قول النبي لأهل الصفة)سنن البيهقي الكبرى:ج٧/ص٢٧٢ ح١٤٣٦٤ انظر موسوعة أطراف الحديث بلب (د) ج١/ ١٣٢٧٥٢

(٣) حديث (ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا * (صحيح) الصحيحة ٦٨٦ و ٢٤٨٢ أنظر صحيح ابن ماجة ـــ المؤلف : أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ج٢/٣٩٤

(٤) حاتم الاصم (٠٠٠ – ٢٣٧ هـ = ٠٠٠ – ٨٥١ م) حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالاصم: زاهد، اشتهر بالورع والتقشف. له كلام مدون في الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح. ومما حدث به عن نفسه قال: لقينا الترك، ورماني أحدهم بوهق فأقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكينا لذبحني بها، فرماه بعض المسلين بسهم فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقمت إليه، فأخذت السكين من يده فذبحته. مات بواشجرد. وكان يقال: حاتم الاصم لقمان هذه الأمة أنظر الاعلام للزركلي ج٢/١٥٢

قليل ، وقد قنعت بها وإنما خرجوا عن الأوطان فرارا من التعزيز[١] والتكثر بالإخوان ، والخلان[٢]، وإعتمادا على الكريم المنان وتوكلا على الرحيم الرحمن ،وتأسيا بالرسول عليه السلام ، وقطعا للمألوف، فالسكون والركوب إلي غير الله تعالى في طريقهم حرام، ولما في الأسفار من الفوائد ما تعود على المسافر بصلة الخير وعابد ،وإنما هجروا الإخوان لما مر في خروجهم عن الأوطان ولما في الاعتماد على غير الله تعالى من الذل والهوان ،وكل ما سواه فانٍ ،والعاقل إنما يتوكل ويعتمد على من إذا طلبه وجده لا على من إذا احتاج إليه فقده:

أوصاف المتصوفة عن القونوي:

قوله : (فلصفا أسرارهم وشرح صدورهم ،وضياء قلوبهم، صحت معارفهم بالله ، فلم يرجعوا إلى الأسباب ثقة بالله ،وتوكلا عليه، ورضى بقضائه). وذلك أن كل من كانت معرفته بالله تعالى ،وبصفاته أتم كانت ثقته بالله وتوكله عليه ، ورضاه بقضائه أكثر فإن من علم أن ليس في الوجود مؤثر غيره ،بل ولا موجود إلا هو وصفاته وأفعاله لم يتصور رجوعه الى غيره.

جاء في الحديث مكتوب في اللوح المحفوظ "بسم الله الرحمن الرحيم إنى أنا الله لا إله إلا أنا من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب ربا سواي"[٣]

قوله :وقد اجتمعت هذه الأوصاف ،ومعانى هذه الأسماء كلها في أسامى القوم ،وألقابهم يعنى بها المنسوبة إلى الصفا، أو الصفوة ،أو الصف أوالصوف .

قوله: وصحت هذه العبارات وقربت في هذه المآخذ)

أي التي أخذ لفظ الصوفية منها، وإن كانت صفية أو صفيه، ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية، يعنى أن يكون أصله صفوية وزيادتها في لفظ الصفية، والصفية إنما كان من تداول الألسن، وإن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ، وصحت العبارة في حق اللغة.

---

(١) التعزز وهو في الحقيقة ذل ولهذا جاء في حديث كل عز ليس لله ذل وقد يستعار للحمية والأنفة المذمومة كقوله أخذته العزة بالإثم وعز الشيء بالفتح قل اعتبارا بما قيل كل موجود مملول وكل مفقود مطلوب أنظر التوقيف على مهمات التعاريف باب (الزاي) ــ المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : د. محمد رضوان الداية الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق ــ ط :لأولى ، ١٤١٠ ج١/٥١٣

(٢) الخليل": الصاحب. والجمع خلان وأخلاء.

(٣) حديث قال الله تعالى " أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي " أخرجه الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري مقتصرا على قوله " من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي " وإسناده ضعيف أنظر تخريج أحاديث الإحياء (كتاب الصبر) ج٤/١٥٥ ، والسلسة الضعيفة قال الألباني : (٢ / ٣) : ضعيفٌ جدًّا ؛ رواه ابن حبان في "المجروحين" (١ / ٣٢٤) والطبراني في"الكبير " وأبو بكر الكلاباذي في "مفتاح المعاني" (٣٧٦ / ١) والخطيب في"التلخيص" (٣٩ / ٢) وابن عساكر (٧ / ١١٥ / ١ ، ١٢ / ٢٦٧ / ١ ، ١٥ / ٣٠٤ / ١) من طريق سعيد بن زياد بالإسناد المذكور في الحديث الذي قبله . وقال الهيثمي في "المجمع" (٧ / ٢٠٧) : وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك. وقال العراقي (٣ / ٢٩٦) : وإسناده ضعيف. وهذا قصور أو تساهل أو لعل في نسختنا من " تخريج الإحياء " سقط ، فقد نقل المناوي عنه أنه قال : ضعيفٌ جدًّا " وهذا أقرب . وقد روي الحديث بإسناد آخر لعله خير من هذا وهو : من لم يرضى بقضاء الله ، ويؤمن بقدر الله ، فليلتمس إلها غير الله. أنظر السلسة الضعيفة ج٢/٤٨١٢

الخاتمة:

وجميع المعاني كلها من التخلي عن الدنيا ،وعزوف النفس، وترك الأوطان، ولزوم الأسفار ،ومنع النفس حظها، وصفا الأعمال ، وصفوة الأسرار ،وأنشراح الصدور ، وصفة السباق أي فإن أختيارهم لبس الصوف الذى هو شعار الصالحين يقضى عليهم بذلك ،ويلزمهم القيام به وكمال التخلي عن الدنيا هو التخلي بالظاهر عن الملك ،والباطن عن الميل والمحبة ، لئلا يشتغل سرهم عن الحق الاول فإنهم متوجهون، إليه معرضون عما سواه ،ولذلك عزفت نفوسهم عن الدنيا ، وتركوا الأوطان ولزموا الأسفار ، ومنعوا النفوس حظها ، وصفت أعمالهم لصفا أسرارهم شوب الإلتفات إلى غير الحق، وقد يكون ترك الأوطان إشارة إلى الخروج عن المألوفات ، ولزوم الإسفار ، ويراد به الإعتبار بعجائب المصنوعات ، والسير المعنوي في الإرتقاء عن السفليات إلى العلويات.

المصادر والمراجع:

١. "الجامع الأزهر". السلسلة الضعيفة ـــ المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ج٣/١٦٦

٢. أعيان العصر وأعوان النصر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك ـ الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا ـ ط: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ـ المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ـ الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند – ط: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٤. التعرف لمذهب أهل التصوف ،لأبى بكر الكلاباذى :تحقيق عبدالحليم محمود ،تقديم طه عبدالباقى سرور ،مكان النشر: القاهرة ،اسم الناشر:دار أحياء الكتب العربية

٥. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ـ المؤلف: عادل نويهض قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد ـ الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ـ ط: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م

٦. سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م تحقيق : شعيب الارنؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة ج١٠

٧. الأعلام ـ تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ،الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٨. السنن الكبرى : تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ،تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٩. سنن ابن ماجه: المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

١٠. التوقيف على مهمات التعاريف ــ المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : د. محمد رضوان الداية الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق ــ ط :لأولى ، ١٤١٠